يوميات الشرق

أول دليل أثري على استخدام النباتات لعلاج الأمراض !



لندن: «الشرق الأوسط»

نُشر: 15:21-13 فبراير 2024 م . 03 شَعبان 1445 هـ

يعد عظم قديم يعود تاريخه إلى آلاف السنين أول دليل قوي على أن البشر في أوروبا كانوا يجمعون ويخزنون عقارًا قويًا وخطيرًا. فقد تم تجويف العظم عمدًا وتغطيته بقطران البتولا؛ حيث وُجد أن العظم في الأصل يعود لخروف أو ماعز ويحتوي على عدد كبير من بذور نبات يسمى الهينبان الأسود (Hyoscyamus niger).

وقد جادل ثلاثة من الباحثين بألمانيا وهولندا بأن المادة النباتية تم الاحتفاظ بها لغرض محدد. إذ انه حتى في الجرعات الصغيرة، يعتبر نبات الهينبان الأسود، الشائع في جميع أنحاء أوروبا، خطيرًا؛ فهو يحتوي على سموم «هيوسيامين وسكوبولامين»، وإذا ما تم تناوله يمكن أن يؤدي إلى عدم انتظام دقات القلب والتشنجات والغيبوبة وحتى الموت. ويمكن للنبات أيضا أن يسبب الهلوسة، أو حتى يمكن استخدامه كدواء.

وتم العثور على الهينبان الأسود بمستشفى قلعة رومانية تعود للقرن الأول الميلادي في نيوس، كما تم العثور على متعلقات جنائزية لعرافة مدفونة في غوتلاند تعود لحوالى عام 980 م.

ويظهر النبات أيضًا في مواقع أثرية أخرى في جميع أنحاء هولندا غالبًا مع نباتات طبية أخرى.

وبالرغم من ذلك، نادرًا ما يمكن ربطه بشكل قاطع بالاستخدام البشري.

ومن أجل المزيد من التوضيح، قال مايكي جروت عالم آثار الحيوان بجامعة برلين الحرة الذي قاد البحث «نظرًا لأن نبات الهينبان الأسود يمكن أن ينمو بشكل طبيعي داخل المستوطنات وما حولها، فقد ينتهي الأمر ببذوره في المواقع الأثرية عن طريق الصدفة. وهذا يجعل من الصعب إثبات ما إذا كان قد تم استخدامه عمدًا من قبل البشر؛ سواء لأغراض طبية أم ترفيهية». مضيفا «تم العثور على البذور داخل عظم خروف أو ماعز مجوف ومختوم بسدادة قطران من لحاء البتولا الأسود، وهذا يشير إلى أن نبات الهينبان تم تخزينه عن عمد». وذلك وفق ما ذكر موقع «لايف ساينس» العلمي.

وتم العثور على العظم كجزء من تجمع أثري في هوتن كاستيلوم، وهي مستوطنة ريفية ازدهرت منذ حوالى 2600 عام حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، بالقرب مما يعرف الآن بأوترخت الهولندية. وحتى الآن، اكتشف علماء الآثار حوالى 207000 قطعة فخارية، و1400 قطعة معدنية، و86000 قطعة من عظام الحيوانات التي تغطي سكن الموقع.

ولقد كان الباحثون محظوظين؛ فأثناء تنظيف العظام، قام عالم الآثار مارتين فان هاستيرن من وكالة التراث الثقافي الهولندية بخلع سدادة قطران البتولا عن طريق الخطأ، ما أدى إلى تناثر بذور سوداء صغيرة في كل مكان. ولسوء الحظ فقدت ثلثا البذور. لكن التحليل كشف أن البذور المتبقية وعددها 382 تنتمي جميعها إلى نبات الهينبان الأسود.

ويقول الباحثون إنه تم العثور على بذور نبات الهينبان الأسود في حفر هوتن-كاستيلوم، لكن وجودها مخبأة في عظمة مجوفة عمدًا يدل على النية والأهمية. وإذا امتلأت الحاوية، فستكون قادرة على استيعاب حوالى 4000 بذرة هينبان أسود.

غير ان الأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو أن العظم أملس ومصقول حول القسم الأوسط، ما قد يشير إلى التعامل معه بشكل متكرر.

ماذا كان يفعل سكان مستوطنة هوتن كاستيلوم بالهينبان الأسود؟

يعتقد بعض العلماء أن الهينبان الأسود كان العنصر الحاسم المستخدم لإثارة الغضب الهائج، لكن من الصعب أن نتخيل أن مستوطنة زراعية تحتاج إلى القيام بذلك على أساس منتظم. بل يعتقد الباحثون أن الغرض من البذور ربما كان طبيًا.

وفي وقت استخدام العظم، كانت هولندا جزءًا من الإمبراطورية الرومانية.

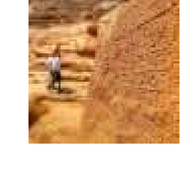
ويستشهد الباحثون بتقارير المؤرخ الروماني بليني الأكبر، الذي كتب في كتابه Naturalis Historia من 77 إلى 79 م، أنه يمكن استخدام الهينبان، بأشكال مختلفة، لعلاج السعال ونزلات البرد، وآلام الأسنان، وآلام الرحم، والنقرس، والتهاب الأوتار، وانتفاخ البطن وجفاف الجلد وألم الأذن. لكن بليني يحذر من أنه يجب استخدامه بشكل صحيح، خشية أن يتعرض المرء لبعض التأثيرات السيئة.

من أجل ذلك كتب الباحثون بورقتهم البحثية «من الممكن أن نستنتج أن نبات الهينبان تم استخدامه كدواء، وأن الآثار الجانبية الخطيرة لاستخدامه معروفة».

جدير بالذكر، ان نظريات الاكتشافات الأثرية الأخرى ترجح الاستخدام المتعمد للهينبان كمهلوس أو دواء.

ويشير الاكتشاف الى أن وجود النبات بكل مكان في المواقع الأثرية ربما لم يكن من قبيل الصدفة على الإطلاق؛ فالحالات التي يمكن فيها إثبات الاستخدام البشري المتعمد للهينبان الأسود بما لا يدع مجالاً للشك هي حالات نادرة. ويمكن الاستشهاد بعدد قليل فقط من الأمثلة الأثرية.

اقرأ أيضاً



40 ألف قطعة أثرية تعكس غِنى جوهرة العلا التراثية

اقرأ أيضاً

اكتشاف معبد أثري غارق لـ«أفروديت» في الإسكندرية

مواضيع

آثار